STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

The impact of the discourse of power in the formation of the effective structure in the novels "Follow My Foot" and "The Mice" by Hamid Al-Aqabi

Alaa Fleayyih Hasan Al-Zuhairi[1], *Faramarz Mirzaei*[2*], *Hadi Nazari Monazam*[3], *Kobra Roshan Fekr*[4]

Abstract:
The discourse is a group of words that define patterns of behavior, and affect community life negatively and positively. Therefore, the discourse of power penetrated all economic, political, cultural and even psychological issues, and since the novel is a narrative world that evokes what appears from the reality of society and what is hidden from it, it cannot be analyzed in isolation from the discourse Authority. The discourse of power has a distinct presence in the narrative formation in the novels of Hamid Al-Aqabi, especially in the formation of the active structure. Because it is the most influential of the system of power and its dominant discourse. The research tries to show the most important features of authority and the influence of various characters in Hamid Aqabi's novels. The issue of the study imposed on us the use of the analytical descriptive approach, in general, and the formative structural approach as a narrative approach for analyzing the fictional discourse, relying on the tools of induction,

Summer (2023), Vol. 4, No.9, pp. 79-104
Received: 19/6/2023 Accepted: 21/8/2023

[1] PhD student in Arabic literature and language, Tarbiat Modares University, Iran *Email: af.hasan@modares.ac.ir*
[2] Coresponding Author, professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email: f_mirzaei@modares.ac.ir*
[3] Associate professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email:hadi.nazari@modares.ac.ir*
[4] Professor of Arabic language and Literature, Tarbiat Modares University, Iran, *Email: kroshan@modares.ac.ir*

© The Author(s).
Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]
[DOI: 10.61186/san.4.79]

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

deduction and interpretation. Two novels " Eqtafi 'athari " and " Alfiran " were chosen for their treatment of the political system of power and the dominant phenomena, according to what the characters require in order to draw conclusions and understand them. The research reached several results, the most important of which are: that power did not only affect the living conditions, but also affected behaviors and impressions, and this discourse became pervasive in the fabric of society, and the defeated characters were more effective than the characters belonging to the two novels, and Al-Aqabi tried to portray the negative impact of power. On fictional characters such as fragmentation, loss of identity, and severe psychological crises.

***Keywords*:** the discourse of authority, the fictional character, Hamid Al-Aqabi, "Aqtafi 'Athari", " Alfiran".

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.79]

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩

مقالة علمية محكمة

أثر خطاب السلطة في تشكيل البنية الفاعلية في روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران" لحميد العقابي

علاء فليح حسن الزهيري[١]، فرامرز ميرزائي[٢*]، هادي نظري منظم[٣]، كبرى روشن فكر[٤]

تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٨/٢١
تاريخ الوصول: ٢٠٢٣/٦/١٩

الملخّص

إنَّ الخطاب مجموعة ملفوظات تحدد أنماط السلوك، وتؤثر على الحياة المجتمعية سلباً وايجاباً، فلذلك توغّل خطاب السلطة في جميع الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية وحتى القضايا النفسية، وبما أنّ الرواية عالم سردي يستحضر ما ظهر من واقع المجتمع وما خفي منه، فلا يمكن تحليلها بمعزل عن خطاب السلطة. ولخطاب السلطة حضور متميّز في التشكيل السردي في روايات حميد العقابي خاصة في تشكيل البنية الفاعلية؛ لأنها الأكثر تأثيراً في نظام السلطة وخطابها المهيمن. ويحاول المقال البحث عن أهم مميزات السلطة في روايات حميد العقابي، وتأثر الشخصيات الروائية المختلفة بخطاب السلطة في هذه الروايات. وقد فرضت علينا مسألة الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي-التحليلي، بشكل عام، والمنهج البنيوي التكويني كمنهج نقدي لتحليل الخطاب الروائي، معتمداً على أدوات الاستقراء والاستنباط والتفسير. وقد أختيرت روايتا "أقتفي أثري" و"الفئران" لمعالجتهما ضمن إطار نظام السلطة السياسي والظواهر المهميمنة وفق ما تقتضيه الشخصيات لاستخلاص النتائج وفهمها. وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمّها: إنّ السلطة لم تؤثّر على الأوضاع المعيشية فحسب بل أثرت على السلوكيات والأطباع وصار هذا الخطاب متفشياً في نسيج المجتمع، وكانت الشخصيات المنهزمة أكثر فاعلية من الشخصيات المنتمية في الروايتين، وحاول العقابي أن يصوّر ما في السلطة من تأثير سلبي على الشخصيات الروائية كالتشظي وضياع الهوية والأزمات النفسية الحادة.

الكلمات الدليلة: خطاب السلطة، الشخصية الروائية، حميد العقابي، أقتفي أثري، الفئران.

[١] طالب الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الألكتروني: af.hasan@modares.ac.ir
[٢] الكاتب المسؤول، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران،
البريد الألكتروني: f_mirzaei@modares.ac.ir
[٣] أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الألكتروني: hadi.nazari@modares.ac.ir
[٤] أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، إيران، البريد الألكتروني: kroshan@modares.ac.ir

الناشر: © جامعة الخوارزمي والجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها.
حقوق التأليف والنشر© المؤلفون

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]
[DOI: 10.61186/san.4.7]

١. المقدّمة

١. ١ إشكالية البحث

إنَّ دراسة خطاب السلطة في العمل السردي يسلط الضوء على تأثيرات الهياكل الاجتماعية والسياسية السائدة، وتأثيره على التشكيل السردي في موضوعاته الرئيسة وفي بنيته العامة، فضلاً على كيفية تشكيل الشخصيات الروائية والعلاقات بينها. فروايات حميد العقابي، كأي عمل أدبي آخر، تأثّر بخطاب السلطة وما فيه من العنف والتهميش في استحضار البنى الروائية. فقد أفصح الخطاب عن السياسات المتبعة في إدارة البلد، إذْ يفرض عليهم التطبيق والانصياع لكل ما يطلب منهم باسم القائد، كل تلك الأحداث تركت ظلالها في النفوس لترسَخها ذاكرة الروائي، أراد منها أن تكون وثيقة صادقة تتحدّث عن التاريخ المليء بالظلم والقتل والعنصرية والحرب. وبيّن العقابي عبر خطابه السلطوي في روايتيه "أقتفي أثري" و"الفئران" تهميش المجتمع وسلط الضوء على مجموعة من التحولات السلطوية منها ضرب الآخر المخالف في الفكر وتعذيبه من أجل الحفاظ على هيبة الأنا الذي يتمتع بمرجعيات دينية وسياسية واقتصادية، ليصبح رمزاً يبيح لها ممارسة سلطتها الفعلية وقمع بقية المجتمع لجعل الشعب يعاني من الفاقة والعوز، والبحث عن لقمة العيش فضلاً على وسائل التعذيب والقتل والسجون، هذه الثيمات وغيرها لم تأت من فراغ بل لها مرجعيات ثقافية.

وكان حميد العقابي (١٩٥٦– ٢٠١٧م) من الروائيين العراقيين الذين شُردوا وعاشوا محنة الغربة وأحدثوا ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والاجتماعية بسبب جرأته العالية في معالجة القضايا الساخنة في رواياته. هرب من العراق، وتعرض للأسر في إيران، ثم هاجر إلى سوريا واخيراً استقر في الدنيمارك حتى توفيّ فيها، وله ما يقارب عشرين عملاً إبداعياً في الرواية والقصة القصيرة والشعر (لطيف، ٢٠١٩م: ٤٥).

انعكست تجربته المرة في أعماله الروائية، ففي رواية " أقتفي أثري" عالج الراوي قضية الشذوذ الجنسي المتمثل في شخصية «ماريانا» الّتي تدور أحداث الرواية حولها ويقدمها (الراوي المشارك) الّذي يسرد الأحداث بضمير المتكلّم، فيقع على عاتقه مهمّة تقديم الشخصيات، وسرد الأحداث. لعبت ماريانا الشخصية الرئيسة دوراً كبيراً في مجرى السرد وأحداث الرواية، وصورها الراوي من زاوية الموقف الّذي هم فيه، مع مجموعة من العائدين الذين قرروا العودة إلى العراق عن طريق الصحراء، وقد طغت الأفعال الماضية على النص مثل (شعرت، التفتُّ، وجدت ...) لتدلّ على الحركة، وتتعلّق بالحواسّ كلّها انطلاقاً من الشعور وتحريك الجسم وحركة اليد لتقدم لنا مشهداً يرى ويسمع ويلامس الإحساس (العقابي، ٢٠٠٩م، ٤ – ١٠٩). وأما "رواية الفئران" فتدور أحداثها حول مجموعة من الناس الذين أجبروا على العيش تحت الأرض، ربما هي حياة ثانية تفرض على كلّ من سوّلت له نفسه الاعتراض على الواقع المأساوي ورفض سياسة الحكم السائدة، وهي أحداث ارتبطت بمدّة وصول «القائد الضرورة» إلى دفّة الحكم، بعد الانقلاب السياسي الذي نجح فيه مع مجموعة قليلة من أنصاره ومؤيديه، فلم يكتفوا باعتقالهم بل أجبروهم على العيش بالطريقة التي يرونها مناسبة، (العقابي، ٢٠١٣م، ٩– ١٩؛ ٨٤–١٠، ٣). فالغاية من وجودهم ليس كونهم مجرمين أو قاموا بمخالفة القانون بل ليكونوا فئران تجري عليهم تجارب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.9.3]

لمعرفة مدى قدرتهم وطاقتهم القصوى على تحمّل الذلّ والمهانة، وقد يخلى سبيل من يستجيب أو يسري عليه مفعول التجربة، وينجح في الاختبار، فهو تطبيق المشروع المتمثّل بمسخ الإنسان وجعله كالحيوانات لا يعرف غير الطاعة والانصياع.

١. ٢ الدراسات السابقة

تطرقت دراسات كثيرة إلى محاور البحث الرئيسة فمن أهمها:

– مقال بعنوان: **الضلع "رواية تصير مسافة بين الوطن والمنفى"** لنجاة فواز (٢٠١٢م): جاءت هذه الدراسة على نمط القراءة العميقة لرواية الضلع لحميد العقابي، تبين فيه الضياع وعدم الاستقرار الذي كان يعيشه البطل بعيداً عن وطنه، وبين المكان الذي يعش فيه ولايستطيع التكيف معه ولا العوده إلى بلده، كما تصور الدراسة عبر هذه الرواية الطويلة والشيقة حالة انتحار البطل عاشور وغيره في أرض المنفى؛ نتيجة لما عانوه من الوحدة والحزن متذكرين كل يوم ما تركوا وراء ظهروهم عبر الذكراة (الصندوق الاسود) وايقاظه من النوم كل ليلة وهو بيد أحضان السلطة.

– مقالة أخري بعنوان: **الضلع رواية التأويل وأصل المتغيرات والمتضادات، كريم ناصر**(٢٠١٨م)، موقع الناقد العربي: حاولت الدراسة أنْ تبين بعض الشخصيات عبر ثيمات مستحدثة، ويؤكد أنّه لايمكن معرفة الصور بدون قراءة تامة للرواية، ولا يمكن معرفة شخصيات الرواية بدون فهم الثيمة، وقد تطرّق الكاتب الضمني في الرواية والأساليب السردية المستخدمة واللغة الدرامية والصور الدلالية وقام بتحليلها بالتفصيل، وما يختلف عن دراستنا بأنّ بحثنا يشير إلى دور السلطة في الفكر السياسي والأدبي ومواطن الخلاف بين هذا وذاك.

– كتاب صدر مؤخراً بعنوان: **وشم النورس، حياة مستعادة لحميد العقابي، قراءات – شهادات – مواقف – مجموعة شعرية جديدة**، إعداد مازن عبد اللطيف، (عام ٢٠١٩م). ويضمن الكتاب مجموعة من المقالات حول أسلوب حميد العقابي في الكتابة مشيراً إلى أسلوبه العجائبي المتأثر بالمدرسة السريالية الّتي تمزج الواقع بالخيال الروائي الخصب، ومحددا أساليب العقابي في تصوير الحروب والخيبات.

– مقالة لسلام إبراهيم **بعنوان "أصغي إلى رمادي"، الذات حينما تدمرها الطفولة والحرب"** (٢٠١٩م) قراءات في عالم الكتب والمطبوعات. تتحدث الدراسة عن تجربة حياة حميد العقابي الطويلة المليئة بالألم والعذاب، والّتي سجل فيها كتابته السردية بمجموعة من القصص والروايات، كونه شهد تلك الأحداث وعاش تجربتها جعل الكاتب جزءاً من (سيرة حياته) في فصول روايته وفصول أخرى وضع فيها شخصيات لها تجاربها الحياتية ومدلولاتها الرمزية، قسم فيها النص إلى اثنتي عشر فصلًا، وجعل لكل فصل ثيمته الواضحة التي تدور أحداث الرواية حولها، تميزه بلغته السردية البسيطة والواضحة التي تجذب القارئ وقد اختارها بخبرة عالية ودراية تامة.

–**مقالة أخرى تحمل عنوان " الواقع والخيال في رواية (القلادة)"** صالح الرزوق(٢٠١٩)، فتناول رواية القلادة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

التاريخية التي لامست سيرة النبي (ص) بعدة مفاصل وعلاقاته بالتجارة ومصادره المعرفية. وأخذ الكاتب على هذه الرواية مآخذ منها ابتعادها عن الواقع التاريخي، لأنها لم تستند إلى الوثائق التأريخية.

– ثم بحث آخر لحسين اسكاف (٢٠١٩م) بعنوان «**حميد العقابي.. حين يؤرخ لجيل الخيبات والحروب**» استنتج بأنّ حميد العقابي أراد القول بأنّ الجيل الذي ينتمي إليه لاعلاقة له بالزمن، ويصور حالة العراقي الذي وجد نفسه وجهاً لوجه أمام أتون الحرب، ليتيقن أنه أصبح مشروع موت مبكر، فصار يبحث عن سبب مقنع يبرر موته، وتتناول كل الثيمات المتعلقة بالحرب، كما تؤكد الدراسة على الحرمان والكبت الجنسي الذي كان يعيشه هذا الجيل، فضلاً عن كبت للأحلام والأمنيات، والسوء الذي كانت تعانيه الشخصية، فإنها طوال الرواية تفكّر إما بالجنس أو بالموت.

– وبحث آخر لهاشم مطر (٢٠١٩م) بعنوان «**القلادة حداثة النص بين الإسقاط والتناص والتأويل**» فتناول رواية القلادة المثيرة للجدل بإسهاب، واستنتج أنّ نص العقابي جريء فتح أفقاً لتناول التاريخ من باب أوسع مما يتوقع بسبب التابوات وسلطة المقدس.

– مقالة بعنوان "**مستويات الأداء اللغوي في رواية الضلع لحميد العقابي**، سالم جمعة كاظم (٢٠١٨م). جامعة القادسية، للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، وقد تطرّق الباحث إلى عدة مباحث متعلّقة بلغة رواية "الضلع" خاصة فيما يتعلّق بلغة السرد والإيهام بالضمائر، كما سلط الضوء على لغة الاغتراب والأزمة النفسية، ولغة الجنس، وفي النهاية تطرّق الباحث إلى لغة الشعر والتاريخ والأسطورة، وختمها باللغة الشعبية التي تخلّلت الرواية.

وقد كثرت البحوث المنشورة حول الرواية العراقية ومنها بحث **لكريمة نوماس محمد المدني** بعنوان "**دراسة أسلوبية لعناصر السرد والعنف في الرواية العراقية المعاصرة؛ رواية خان الشابندر لمحمد حياوي اختيارا**" **وتطرقت الباحثة إلى** كيفية دراسة الخصائص الأسلوبية في النص السردي الروائي العراقي، واستنتجت أن الرواية العراقية امتازت بكثرة حضور نسقي الاستفهام والأمر. وبحث آخر لطيبة أميريان و زملاؤها بعنوان "**المستويات المؤثّرة لألف ليلة وليلة في "سُلاف بغداد" لمحسن جاسم الموسوي**" وأشارت الباحثة إلى سعي الرّوائي العراقي المعاصر إلى تعزيز فعّاليته الرّوائية مُلهماً مما تتمتّع به حكايات ألف ليلة وليلة، كنصّ مصدرٍ، بتشحيذ ملكته الأدبيةِ وذهنه للخلقِ.

يتبن لنا مما ذكرناه من دراسات سابقة بأنّ موضوع تأثير خطاب السلطة في تشكيل البنية الفاعلية لروايات حميد العقابي لم يعالج بعد، فهذا البحث يحاول إلقاء الضوء على تأثير السطة في تشكيل البنية الفاعلية في روايتي (أقتفي أثري و الفئران) لما فيهما من الاهتمام الأكثر بخطاب السطة في تكوين المكونات السردية فيهما، ولما في خطاب السلطة من أهمية في الدراسات السردية الحديثة.

١. ٣ تساؤلات الدراسة والمنهج

إنَّ دراسة خطاب السلطة في التشكيل السردي تثير تساؤلات كثيرة، من أهمها:

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.9.1]

– ما أهم تأثير خطاب السلطة على تشكيل الشخصية السردية في روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران" لحميد العقابي؟

– ما أهم مميزات الصورة السردية لخطاب السلطة في هاتين الروايتين ؟

إن تحليل خطاب السطلة في الروايتين يبرز ملامحه المتمثلة في قمع الحريات وتقييد الآراء المنتجة وتحجيم دور السلطات الأخرى، مما أدى بالكاتب إلى إدراج شخصيات رواياته داخل الشخصيات المكبوتة اجتماعياً وعاطفياً، فسلوكها ومستويات تفكيرها وردود أفعالها تدل على مسخها كالقطيع، الذي لايعرف غير الطاعة والانصياع لأوامر الراعي.

فرضت مسألة الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي–التحليلي، بشكل عام، والمنهج البنيوي التكويني كمنهج سردي لتحليل الخطاب الروائي، معتمداً على أدوات الاستقراء والاستنباط والتفسير. وقد أختيرت روايتا "أقتفي أثري" و"الفئران" كعينتي البحث للدراسة لأنهما من أكثر روايات العقابي اهتماماً بالسلطة السياسية وآثارها على المجتمع العراقي، ولمعالجتهما ضمن نظام السلطة السياسي والظواهر المهيمنة وفق ما تقتضيه الشخصيات لاستخلاص النتائج وفهمها.

٢. التشكيل السردي

اهتم نقاد الرواية بمفهوم مصطلح "التشكيل السردي" ولإجرءاته أهمية بالغة لما لـ«التشكيل على الصعيد الاصطلاحي والمفهومي من قوة حضور وإغراء دفعت الكثير منهم إلى استعماله والاشتغال على آفاقه» (عبيد، ٢٠١١م، ٥)، فلا يمكن قصر هذا المصطلح على آفاق محدودة ومصطلح «التشكيل» الموصوف سردياً بـ«التشكيل السردي» لايبتعد كثيراً في الإطار العام عن الحدود المفهومية النظرية لمصطلحات موازية مثل «التشكيل الشعري» و«التشكيل الدرامي» وغيرهما، وقد أخذت الرواية – النوع السردي الأكثر استظهاراً واستيعاباً وتمثلاً للحراك الاصطلاحي في الأنموذج السردي – الحصة الأوفر في الهيمنة على المصطلح وجره إلى ميدانها وفضائها ومنطقة عملها، "إذ إنّ الرواية في حدود تشكيلها السردي الجمالي ملزمة – تشكيلياً وتعبيرياً وثقافياً– بكل هذا من أجل الوصول إلى حالة إشراق تخييليه تتوافر على طاقة تعبيرية صادقة للتمثيل والتصوير والتدليل" (نفس المصدر، ٢٢) فلمفهوم التشكيل السردي شمولية تمثل لكل البني السردية كالفاعلية والحدثية والمكانية والزمنية والوصفية والحوارية من خلال الطبيعة الفنية السردية لتتكشف فيها جماليات التشكيل القصصي بصورة أكثر التئاماً ودقة. يعدّ السرد علامة فارقة في أي نص أدبي، فهو عامل" في بلورة أطر بنائية متميزة، فالتشكيل السردي بمفهومه الاصطلاحي يعود لفهم الرسم، واللوحات التشكيلية، وهو يساوي مفهوم التشكيل السردي في الرواية بمكوناتها التي اهتم النقاد بتبيينها.

٣. خطاب السلطة والتشكيل السردي

أثار الخطاب معتركاً احتدم فيه اللسانيون والسلوكيون وحتى الوجوديون، الأمر الذي جعل مفهوم الخطاب مفهوماً قصيّ الرصد عصيّ الضبط (الكندي، ٢٠٢٠م) وعلي الباحث أن يضع المقومات الأساسية للخطاب نصب عينه، والسلطة أهم

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

مقوم أساسي للخطاب لأن «الخطاب هو الأداة التي بها ومن أجلها يقع الصراع انه السلطة التي نسعي للاستحواذ عليها، (فوكو، ٢٠٠٧م: ٧) فإذا عرفنا دراسة الخطاب النقدي بأنها حركة علمية مهتمة على وجه التحديد بتكوين نظرية والتحليل النقدي للخطاب الذي يعيد انتاجه سوء توظيف السلطة وعدم المساواة الاجتماعية فالمهمة المركزية لدراسة الخطاب النقدي تكمن في دراساتها التفصيلية لمفهوم السلطة، وكما هو الحال بالنسبة إلى كثير من المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية، فانّ مفهوم السلطة يعد مفهوماً معقداً وغامضاً وليس من المفاجئ أن نجد عدداً كبيراً من الكتب والمقالات التي كرست لتحليل هذا المفهوم المركزي في عدد من الميادين والتخصصات المعرفية (العيد، ١٩٩٨م: ٤٢). ويرتبط خطاب السلطة باللغة الروائية؛ لأنّ الراوي يستخدم تقلّبات اللغة مابين التصريح تارة والتلميح والرمزية المتعمّقة تارة أخرى؛ لأنّ اللغة لاتتمركز ولا يمكن تحديد تمركزها «لأنّها تتألف من علاقة رمزية خاصة، هي علاقة اعتباطية فيزيولوجية، بين جميع العناصر الممكنة للوعي من ناحية و عناصر منتخبة معينة في الأجهزة السمعية والحركية والمخية والعصبية الأخري من ناحية ثانية بأن تكون اللغة نظاماً وظيفياً تام التكوين في التركيب النفسي أو الروحي للإنسان لذلك فإنّ دراسة اللغة هي دراسة وظائفها وأشكالها الخاصة بالأنظمة الاعتباطية للرمزية الّتي نسميها لغات (الزواوي، ٢٠٠٥م: ٢١٧)، فاللغة، كما عرفه هنري سويت، هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات ونظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية (سعران، ١٩٦٣م: ١١، نقلاً عن هنري سويت). فعلى الرغم من وجود مفاهيم كثيرة للسلطة، يعرف مفهومها وفق مفهوم السيطرة وهذا يعني مجموعة واحدة على مجموعة أخرى وعلى الأفراد التي تتكون منها هذه المجموعة، فالناس في المجموعة المسيطرة عليها، يفقدون حرية التعبير وحرية الكلام أو الكتابة، ليس للمرء حرية اختيار الوقت والمكان والموضوع، والجمهور أين ومتى ومع ومن وعن ماذا يكتب أو يتكلم، فهم مسلوبوا الحرية جزئياً أو كلياً، بسبب سلطة الآخرين وسطوتهم كالدولة والشرطة ووسائل الإعلام التي ترغب بقمع حرية الكتابة والحديث، حيث كان المرء يكتب ما يأمر به فقط.

٤. الواقع السلطوي وبناء الشخصيات في روايتي أقتفي أثري والفئران

٤. ١ الواقع السلطوي

اهتم الراوي في روايتي (أقتفي اثري و الفئران) برصد الواقع العراقي بكل ما يحمله من آلام في ظل النظام الدكتاتوري، مروراً بالحرب العراقية الايرانية وانتهاءً بالاحتلال الأمريكي وحصيلته، فجاء تصويره للواقع بكل ما يحمله من عيوب من دون أقنعة.

فرواية (**الفئران**) تطرح إشكالية السلطة في فترة الأزمة الوطنية الشاملة، وبرع الراوي في تبيين خطاب السلطة الشاملة وأثره على بنية المجتمع الواقع تحت نظام لايعرف غير القتل والحرب والدخول في أزمات متخذاً من أجهزته القمعية، ومصادرة الحريات، ومن خطابات سلطوية وبعض الشعارات كـ(كالقومية، والعروبة، والدفاع عن الأرض والعرض...) ستاراً

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

تتخفى خلفه؛ وتمارس من خلاله تهميش المجتمع، لتصبح واقعاً للناس يعيشونه رغماً عنهم دون أي مقاومة ويصوّرهم مثل الفئران تحت الأرض، ممسوخين من كل القيم والكرامة والشرف:

«تغيرت أخلاق الناس وسلوكهم ....واختفت شتائم كثيرة كانت متداولة كديّوث، منيوك، قوّاد، قحبة.....لتحلّ محلها صفة (رجعي) كشتيمة لايغسل عارها إلا بالدم. حدث هذا الانقلاب المفاجئ في طباع الناس بفضل فكر القائد الملهم الذي كان يتدخل في أمور الرعية اليومية صغيرها وكبيرها .....(العقابي، ٢٠١٣: ٨). فتتدخل السلطة في كل أمور الناس من شربهم، وأكلهم، وملبسهم و طريقة كلامهم ومناهج التعليم والدراسات العلياء، وخطب الجمعة وفي جدران المدينة وأبواب البيوت «وليس في الأمر مبالغة لقد خُطت مقاطع منه على دورات المياه العامة وهي المقاطع التي تتناول تأريخ تطور المراحيض» (نفس المصدر: ٩) فمقاليد السلطة الكاملة في يد السيد الرئيس (صدام حسين) الذي ينوي استيراد «رجال وسيمين من البلدان الاسلامية لتحسين النسل»(نفس المصدر) فهذه الصورة السردية لخطاب السلطة الشاملة في رواية الفئران إن دلّت على شئ فإنما تدل على واقع السلطة التي تحسب الشعب قطعان الماشية تملكها ليجري فيها تحسين كفاءة التناسل عبر الانتقاء الجيني!.

تستهلّ رواية الفئران بوصف من الراوي ليظهر مدي الانكسار النفسي قائلاً: «الوجوه هنا تتغير باستمرار تأتي نضرة، لكن سرعان ماتتغيّر شيئاً فشيئاً، تذبل أو تزداد نضارة وتغادر المكان. شباب جاؤوا ممتلئين بالعنفوان والطموحات، لكنهم غادروا المكان منكسرين تلوح على وجوههم الخيبة أو العبث وآخرون أكملوا الدورة» (نفس المصدر:٥). سرعان ماتتكوّن الفكرة في رأس القارئ عن الضياع النفسي والفردي ومتابعاً لهذا الوصف، تشهد الدراسة تغييرات لم تكن شكلية، إنما بوضوح هي تغييرات ومنقلبات تأتي باطنية وذاتية متأثرة مباشرة بمكان منعزل وضيق، يجيء ويروح به شخوص من شباب متأملين كما ذكر الراوي، بكرامة وعزة وصلابة لكن يواجههم انكسار وعبثية الذبول في قاع المكان الذي وُصف بالجحيم. وفي كل حدث ثمة زمن يحكي عن صراع وفي الحقيقة، "لانص دون زمن". (الطعان، ١٩٩٤م: ٤٤٥).

وفي بدايات رواية "**أقتفي أثري**"يشير الراوي إلى حجم الخوف المسيطر، قائلاً: "لم يتجرأ أحدنا على البوح وحتى التلميح بهذا الخوف كأننا متواطئون على الصمت" (العقابي، ٢٠٠٩م، ٨). ما هذا الخوف المجهول المترسخ في القلوب، قلوب الغرباء المتشردين في بلاد يحيط به الأمان؟ هو الخوف من شيء غامض الذي يُجبر الإنسان على الصمت. تُصرح لنا هذه المقولات بأن الخوف يتولد من اشتباكات الإنسان والسلطة الّتي تقود مجتمعها بقوة سلطوية وتستخدم وسائل الخطاب في تمرير أهدافها ومصالحها وإثبات وجودها وإنعدام مخالفيها حتى تجعلهم يفرون ويتركون كل شيء ويتجهون إلى المنفى.

يصف السارد عودة البطل مع رفاقه من البلدان الغريبة التي أصبحت في هذة اللحظة يزدهر جمالها بعيونهم وفراقها يبدو صعباً جداً قائلاً: "حيث كنت أشعر بحميمة وحب لكل حجرة مررت به على هذه الأرض الشاسعة حتى المقابر بدت لي وديعة والسجون رحيمة" (نفس المصدر، ٨) . انّ هذه المفارقات قياساً بالتصوير الذهني للفرد الذي بات يتمنى السجون والمقابر وأمست الحالة مؤلمة له في موطنه لهذا رغم كل اشتياقه للعودة تتراءى له هذه الذكريات المريرة، فيجد نفسه مشيب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.9]

الرأس راقصاً مع إمرأة فاتنة وسامعاً لموسيقى عذبة. ثم يصرح الراوي بأنّ في موطنه يشعر بالغربة وأشكال من الحرمان وكبت الهموم، قائلاً: "أخرج للشارع كل يوم بوجهٍ جديد، مرة بلحية كثّة وهيئة رثّة، ومرة أخرج أنيقاً، لكنني وكلما مررت في طريق يعرفني المقيم وابن السبيل، فغربتي دليلٌ وعلامة فارقة، وليس من قناع يصلحُ لي" (نفس المصدر، ٩). ثم الضياع النفسي الذي يتغير من شكل إلى آخر وهو بتغيير القناعات، لكن يعترف بأن لايصلح كل منها وأنما هي الهوية الجذرية التي لابد أن يتفقدها الشخص الذي حمل كل هذه الغربة وآلامها على عاتقة، ويرجعها إلى مكانها.

كما أنّ المفردات الهادفة تبعث مشاعر الراوي بدقة حول ضياع عمره بالوحدة ودون أن يذوق طعم الحب وحتى لذة الجماع، فتبقى ثمة حسرات ومازالت المذكرات تهشُّ ذاكرته، كما يقول:«صباحاً أول ما تستيقظ آلامي وشبق منتعظ، أتلمس جسدي عضواً عضواً .. ها أنا أحيا ثانيةً، وكما أتفحص أعضائي، أتفحص ذاكرتي وأهشُّ على ذباب الأوهام بكتاب العمر» (نفس المصدر). والشعور بالضياع والموت كنتيجة محتومة للسلطة دون بصيص أمل، وتحت تأثير ضغوطات الحكومة، والقافلة الّتي ترجع إلى الوطن فقدت آدميتها وهي تضم «رجالاً وبضع نساء امتصت الغربة شبابهن فلم يبق منهن سوي ذكري أنوثة، نساء وحيدات، عوانس، مطلقات، أرامل، ركاما، هشيما....فلم يبق من دليل على آدميتها سوي الحزن اللامع في العيون» (نفس المصدر: ١٠) . قد حاصرت السلطة الإنسان من كل جهة حتى الحانات: "وفي العودة كانت حانة (مفترق الطرق) أول قلاع الغربة وآخرها للعائد ولنا فيها ذكريات لاتنسى، ربما التقينا بنادلة الحانة واغترفنا من حكمتها قبسا ينير طريق عودتنا" (نفس المصدر) ربما يقصد من مفترق الطرق هي تغيير سياسات الحكومات والسلطات حيث في السلطة الدينية تمنع الحانات وقمع اللذات الذي تكون حلم للانسان وجعل النادلة حكيمة، وكأنهم يعرفون جيداً لا يمكن الوصول للحانة أي يقصد الوصول للأحلام مكان يسمع بالموسيقي برخاء مكاناً بعيداً عن الخوف والهرج والتراقب لايوجد سجون ولا يوجد سلطة تجبرك على أن تنفذ الأوامر، ربما كل انسان يريد الوصول لهذة الحانة بل اللجوء إليها ... كأنه شمّ رائحة من ديار الحرب التي تركت بهم خلسة وحشية: "كل شيء تغير" (نفس المصدر:١١).

يأتي الحديث عن التغيير والأمل بتغيير الإنسان مادام يعاني من القضايا سياسية ويعيش تحت إطار سلطة سياسية لايبقى إلّا الأمل، الأمل بالتغيير فهذا يُعلم القارئ بأن الشعب العراقي واعٍ ويطمح للتغيير مثلما يقول:"إنها فكرة تجسدت كالحقيقة في أذهان الراحلين" (نفس المصدر:١٤).كل ما بحث العائدون عن حانةٍ يطوفونها لايجدوا مكاناً بل كل الآمال باتت كسراب هباءً منبثاً إنما تدل على سيادة السلطات وقدراتها قد خُيمت على الأذهان ولا مفرَّ منه ولاحيلة بيد المواطنين للتقلص من أياديهم كما يقول: وماشأننا بحانة (مفترق الطرق) وما شأن نادلتها؟(نفس المصدر:١٤) وقد استخدم الراوي هذا التعبير (مفترق الطرق) لتشتت الشعب العراقي بواسطة السلطات المختلفة الدينية والسياسية التي تجعل من الناس فرق بأفكار متباينة مع الآخرين كي تمنع وحدتهم وتتخذ كل الوسائل لتثبيت سيادتها على الشعب. ويبين لنا الراوي التفرقه والشتات بواسطة حانة "مفترق الطرق" حيث «هب آخر جافلا بعد أن سمع كلمة (حانة) وراح يلعن صحبته لنا مرددا: استغفرالله ... استغفرالله»(نفس المصدر:١٤) الشخصية المتقيّدة بالدين تخالف الحانة ونادلتها وهذا قد

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

يؤدي إلى الإنشقاق والعداوة بين العائدين، كما نرى في واقع المجتمع العراقي ظاهرة بارزة من هذا التبعيض والظلم بحق الأقليات الدينية وطردهم من الأوطان لمصالح الشؤون السياسية.

والصمت، خوفاً من عقاب السطلة، يسود على مواقف الشخصيات:"ساد صمت على الوجوه التي غارت نظراتها كأنها تفتش خاتم ضائع في الرمال" (نفس المصدر: ١١)، فيتكرر الصمت هنا وفي باقي الروايات يمزجها بخلسة مجهولة نحو:"قطعنا الطريق إلى الحانة بصمتٍ كأننا سائرون في حقل ألغام"(نفس المصدر: ١١). ثم الغربة الّتي فرضتها السطة الغاشمة فتشير الرواية إليها مراراً: "قضينا دهراً في الغربة ألا تصبر ليلة واحدة" (نفس المصدر:١٥)، كلمة الدهر كبيرة جداً واستخدامها يهدف إلى معنى أعمق من مجرد كلمة، و هو يريد القول بأن العراق منذ زمن طويل تعاني من الاضطرابات والانشقاقات الفكرية التي لم يكن للمواطن شأن بها، بل كان ضحيتها.

إنّ الصمت خوفاً من السلطة وهذه الغربة التي يعاني منها المواطن العراقي، سببهما حصار عسكري أحكمه جيش من الذئاب: "العيون تترقب اكثر وحينما انعكس ضوء اللهب عليها تبدت لنا جيشاً من الذئاب التي أحكمت حصارها علينا" (نفس المصدر: ١٦)، مشهدٌ واضحٌ من السلطة التي شبهها بالذئاب ليلاً وتترقب بأعينها على الناس كي تسلط وبلغة عامة تنصب كل مكان مثل الشخصيات التي تتحكم على الجميع: ويقول "أحكمت حصارها علينا" الحصار هو تعبير عن ايدولوجية عسكرية حيث لا يتجرأ أحد أن ينبس ببنت شفة أمام هذة السلطات. فحرمان المواطن من أنواع الحرية كحرية الكلام، حرية النقد، حرية المعارضة وحتى حرية إصلاح البلد، من نتائج هذا النوع من النظام الديكتاتوري الذي لايملك المواطنون فيه أي قوة للدفاع عن أنفسهم أو الوقوف أمامها. فيعترف الرواي بأنهم لايملكون شيئاً «لانملك حولاً ولاقوة على ردها» (نفس المصدر: ١٥) لأن الخوف يجتاح الصحراء ...أي يجتاح الوطن وقلوب المواطنين والصمت يسود حيث: "كل منا يسمع دقات قلب الآخر و قرقرة أمعائه، بل كل منا يعرف مايدور بذهن الآخر" (نفس المصدر: ١٨).

إنّ فنّ الرواية، حسب ما صرح به باختين، ظاهرة متعددة الأساليب، ومتعددة اللغات، ومتعددة الأصوات (باختين، ١٩٨١م:٨٥) فهذا ما نجده في رواية **"الفئران"**، ولكن الأصوات كلها متأثرة بالسلطة وتختفي تحت الأقنعة واللافت للنظر بأنّ الراوي يعبر عن ذلك بكلمة "الوجوه" والقصد من الوجوه هي الوجوه المتغيرة، والوجوه صاحبة الأقنعة، لأن من طبيعة الإنسان أنه يريد الخير للآخرين، لكن هناك وجوه قد تتغير وأكثر ما ركّز الراوي عليها ولاشك أنه فكر مليّاً ليستعمل مفردة ذات دلالة كبيرة في بداية روايته وهي مفردة "الوجوه"، هو يبدأ كذلك بوجوه وشخوص فرعية، غير معروفة، والقصد أنّ الضحايا في الزنزانات والسجون لا أحد يعرفها، ولايعرف ما في ذواتها، فهي وجوه بلا وجوه واضحة، اختلفت الأيديولوجيه الدينية والعسكرية في رواية الفئران، رغم ذلك العداء والتناقض بين الأيديولوجيتين الدينية والعسكرية، في التوجه الإيديولوجي فإنهما قد اشتركتا في الرؤية التنافرية والضدية للسلطة كجهاز مسلّط وفاسد، واستغل السلطة والنفوذ لقمع الحريات وتحقيق الغايات لتقلب مفهوم الدولة إلى مفهوم السلطة".

فالسلطة حصار عسكري يلازم الشخصية الروائية رغم كونها تعيش خارج الوطن. ففي رواية أقتفي أثري، تتغير

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

الشخصية الروائية عندما تتغير المبادئ إثر تغيير البيئة والمجتمع الذي بات مغايراً مع الذي تعودته الشخصية منذ فتح عينيها، ولكنه تحس بهذا الحصار: بعد مرور أقل من شهر على خروجي من الوطن بحت لصاحبي بأمر الكابوس الذي يلازمني كل ليلة وأراني عائداً إلى الوطن و في الطريق إلى بيتنا أقع في حصار السلطة. رجلٌ طُمست معالم وجهه يوقفني في منعطف الشارع أو في الساحة، يطلب مني هويتي"(العقابي، ٢٠٠٩م:١٧). من الضروري أن لكل إنسان على أي بقعة من الأرض يجب عليه أن يكشف هويته المنفرده والخاصة به وبموطنه، ولابد أن يعتز بها وينقلها من جيل إلى جيل آخر وأنْ يصرّ على بقاءها ووجودها لأنها الشيء الوحيد المتمايز الذي يعرف الفرد بها عند مواجهة الآخرين والهوية التي لدي الشخصيات هي ما صنعتها السلطات بيدها ولادور للإنسان في خلقها وإثباتها. فأحكمت هذا الحصار السطلوي، ذئاب وديعة ينفر مجرد الشعور بها الهدوءَ من الأنفس:« فكيف لنا أن نثق بذئاب جُبلت على الافتراس وإن بدت وديعة(نفس المصدر: ١٧). فيبدأ الحوار بين الرفاق حول كابوس الذئاب الوديعة:

« ما أجمل السلام، حتى الذئاب غدت وديعة؟"

... نهره شيخٌ ذو لحية بيضاء غطت عنقه كان صامتا طوال طريق الرحلة:

عن أي سلام تتحدث؟ هذي ذئاب، ألا تعرف ماذا يعني ذئاب؟

"ربما جاءت لحمايتنا". قال ثان بطريقة اختلط فيها الجد بالسخرية

ارتفعت أصوات الرفاق بالنقاش .... حتى ارتفع صوت من بين كتلة الرفاق المتراصة مع بعضها:

ما الحل اذن ؟

فصاد صمت ...»(نفس المصدر: ١٨-١٩)

ربما هذا السؤال: "وما الحل إذن؟"، سؤال كل فرد يعيش في تلك الأرض السوداء ويبحث على حلٍ أساسي وكل ما يطرح رأيه لكن هذا يختلف عن الآخرين؛ حيث يطلق صوته ويريد حل للوضع الموجود. ربما هذا الصوت للإنسان الحر الذي لايطيق الحصار ويبحث عن حرية ..."فحين لاح أول خيط أبيض في السماء، نهضت الذئاب بتثاقل، تمطت محركة أذنابها ثم رفعت أبوازها نحو السماء وأطلقت عزفاً عوائياً جماعياً فتسمرنا في المكان مبحلقين إليها بتحفز ودهشة ومع نزول عصا المايسترو غير المرئية، توقفت الذئاب، أدارت لنا ظهورها وتجمعت بكردوس منتظم، ثم انطلقت مخلفةً وراءها غباراً كثيفاً وأسئلة لائبة في نفوسنا، أنشدّت أبصارنا الى جهة الغرب حيث إتجهت الذئاب حتى بدت نقاطاً سوداً على جدار الأفق"(نفس المصدر: ٢٢). إن الذئاب رمز لفئة تعبث الشر في كل مكان وتسلط على الآخرين بحيلٍ وتسلب الأمن منهم، وتزرع الفتن.

٤. ٢ بناء الشخصيات الروائية

قد حظيت الشخصيات الروائية بمنزلة مهمّة في الدراسات النقديّة الحديثة؛ ذلك لأنها عنصر أساس يقوم عليها البناء الفني في الرواية، فهي المحور العام والرئيس الذي يتكفل بإبراز الحدث (يقطين، ٢٠٠٩م: ٤٥٥). إنّ الشخصية الروائية قادرة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.9.1]

على غير ما لايقدر عليه أيُّ عنصر آخر من المشكلات السردية، فقدرتها على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها الروائي ويجعلها في وضع ممتاز حقاً (مرتاض، ١٩٩٨م: صص٧٧- ٧٩)، وتتحدد شخصية الرواية -في الغالب- بالوظيفة التي تُوكل إليها.(نفس المصدر: ٨٧). فلذلك ركز العقابي في بناء أبطال رواياته على الوظيفة الّتي تؤكل إليها بطريقة تتميز فيها كل شخصية عن أخرى بإعطاء الشخصيات أدواراً رئيسة، وأخرى ثانوية ولكن بالمنزلة نفسها، وبالأهمية نفسها، وهذا مايدل على مكانة هندسة الشخصيات في رواياته لدقّته في اختيار هذه الشخصيات حسب أدوارها لتتناسب الشخصية والوظيفة المؤكل إليها.

لجأ الراوي لإدخال شخصياته بكثرة وبسلوكيات مختلفة واعتقادات غير متشابهة ترضخ وتتغير وتتقلّب ضمن تغيرات مفاجئة غير محددة، كلها كانت آليات اعتمد الكاتب عليها عن طريق السخرية والتهكم، والتناقض والتشظي المفرط لتحقق للرواية، ما عمد على إظهاره عن السلطة للقارئ، وفي هذا الإطار لم يستخدم الراوي بطلاً واحداً تقليدياً، كما هو المألوف، وإنما قام بتوزيع الأدوار على شخصيات عديدة في النص كتمييع الحدود بين سلطة الراوي وسلطة البطل وهذا أراده الكاتب بأنّ جميع شخوص المجتمع الراضحة تحت سلطة القمع للأنظمة السلطوية للحكومات هم جميعهم دون استثناء أبطال، يؤدون أدوارهم بوعي أو دون وعي، مستنفعين أو نافعين ضمن بحبوحة من التغيرات غير المستقرة للأوضاع السياسية. ومن هذه الشخصيات، شخصية «صالح الأعرج» الكردية في رواية **"أقتفي أثري"** فاسم "صالح" يهدي النفوس ويطمئن منه لكنه رغم هذا؛ إنّ لقبه "الأعرج" يوحي نوعاً من القلق والاضطراب و المجازفة:

- « أي وطن هذا؟"

- نعم يا صالح الأعرج، أي وطن هذا ! الخروج منه مجازفة والدخول اليه مجازفة والعيش فيه مجازفة، البعد عنه مجازفة...(العقابي، ٢٠٠٩:٥٢) . فشخصية صالح الأعرج الذي هو شخصية كردية وبهذه التسمية يلهمنا بأنَّ الفئة الكردية متصالحة مع باقي الفئات العراقية في خريطة جغرافية حقيقية. وهناك نماذج عديدة من هذا القبيل إذ يشرح لنا من خلال هذا الحوار الداخلي عن تاريخ العراق و التسمية تُعبر عن العراق آنذاك؛ حيث كان بلداً صالحاً؛ أي وضعهُ كان مستقراً و آمناً لكنّ في أركانه وبنيانه الأساسي قد كان أعرج، فأصبحت الظروف قاسية.

فالشخصية الروائية في روايتي أقتفي أثري والفئران في علاقتها بالواقع السلطوي، إما تنضوي تحت الفئة المهزومة الضائعة، وإما تنضوي تحت الفئة المنتمية إلى السلطة؛ فجاء التشكيل السردي لكلتا الشخصيتين نتيجة واقع السلطة الغاشمة.

٤ .٢. ١ الشخصيه المهزومة

الشخصية المهزومة هي الّتي تعيش بداخلها الهزيمة (سفر، ٢٠٢٢م: ١). اجتهد العقابي بإكساب هذه الشخصيات المهزومة خصوصياتها التي تميزها، حيث خصص لها ثيمات خاصة كالإنكسار والمهانة والسحق والتوبيخ والتأديب ليجعلها واقعية كما خطط لها الراوي.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.91]

إنّ التشكيل السردي للشخصية المهزومة في رواية الفئران يتكون من مرحلتين: مرحلة ما قبل تسلم السيد القائد الملهم (صدام حسين) مقاليد الحكم، ففي هذه المرحلة لايُطلق على الشخصيات المهزومة اسم وهي مجموعة من الناس تبدأ أحداث الرواية من لحظة اعتقالهم بطريقة عشوائية والزج بهم في السجون تحت الأرض:"المسألة لم تكن إلقاء القبض على سياسيين معارضين، فالمعارضةُ كلمةٌ محذوفة من قاموس الحياة اليوميّة للمواطن منذ اعتلاء السيد الرئيس عرش الربوبيّة في وطنٍ كانت تتصارع فيه الملائكة والشياطين، كذلك الأمر لم يكن القاء القبض على جنود فارين من جبهات القتال، فالحربُ قد انتهت منذ ثلاث سنوات» (العقابي، ٢٠١٣م: ٦) ثم يكتشف على لسان القائد العسكري أنهم وقعت عليهم القرعة كي يكونوا «فئران التجارب.. نعم ..نعم فئران التجارب» (نفس المصدر: ١١) لتجري عليهم «تجارب علمية لمعرفة طاقة البشر القصوي في تحمل المهانة»(نفس المصدر:١٢). فعليهم إطاعة الأوامر في تطوير البحوث العلمية.فتجري عليم تدريبات عسكرية في مكان بلاجهات، فالسماء سقف رملي و الهواء غبار خانق ولم يعد أحدهم يستطيع التمييز بين يمينه عن شماله. فلا اسم للشخصيات المهزومة، فالراوي حين ينسب فعلاً سردياً إلى شخصية من هذه المجموعة فيسميه بـ «أحدنا»أو « أحد منا» أو«أحد» أو «شيخ» أو «شاب» . ليدل على طمس هوية الشخصيات بإرادة من السلطة الغاشمة لتحويلها فيما بعد إلى شخصيات مطيعة، منصاعة ومهزومة.

فتنتهي هذه المرحلة باعتراف الشخصيات المهزومة بمسخ هويتهم: "أطلق الشاب صرخته مرة أخرى فأيقظنا من حيرتنا وانتبهنا إلى ما سيقوله: "اسمعوا"... قال بلهجة آمره مترفعة فلم يعترض أحد، .....:

ها أنا أعلن لهم وبلا خجل ... وصرخ بصوت عالٍ:

"أنا حمار.. أنا حمار"

ثم وبصوت عال جدا صرخ: أنا حماااااااار .. ثم ارتفع صوته بنهيق عال مقلدا صوت الحمار(الفئران، ٢٠١٣م: ١٧) فأحست الجماعة أنهم ماتو وهم في مقبرة جماعية (نفس المصدر:١٩)

تبدأ المرحلة الثانية من تكوين الشخصيات المهزومة وكأنهم نُشروا من مقبرتهم الجماعية على صور حيوانات فمنهم من ينبح ومنهم من ينعق ومنهم من يزأر ... فتظهر فتاة ببدلتها العسكرية، وكان اسمها ريم وهي «مسؤلة قسم إعادة الأذواق والتربية في مدرسة بناء الأجيال»(نفس المصدر:٢٦) ومهمتها توزيع أسمائهم الجديدة لهوياتهم الممسوخة، فعليهم نسيان أسماءهم القديمة التي لم تكن باختيارهم بل أجبروا على حملها «من قبل أبوين متخلفين ينتميان إلى الماضي السحيق وأما الأسماء الجديدة فهي من اختيار القيادة الحكيمة .... فشرعت بقراءة الأسماء:

- عبدالجبار عبدالله
- نعم .....
- اسمك الجديد هو الحمار ...

فنطت ضحكة من أحدنا ثم تواصل الضحك غير أن الأنسة ريم أشارت إلى زميلتها لكي تعجل بقراءة الأسماء: عباس

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

ناصر ... خرف؛ جابر مهدي .. عجل؛ عبدالرزاق حسون ..غراب؛ عبدالرحمن عبدالقادر .. زيب؛ نوزاد شفيق .. كر؛ جاسم علوان ... يربوع؛ قمر هاشم .. جحش. وهكذا رحنا نسمع أسماءنا الجديدة: ثور، بعير، بغل عتوي، جريذي، زرزور، قرد، خنفس، ... وأما أنا فقد صار اسمي " الواوي" » (نفس المصدر:٢٧-٢٨). فهذه المجموعة برمتها ممسوخة بهويات جديدة، ضمن خطة محكمة بدأت منذ تسلم القائد الملهلم (صدام حسين) مقاليد الحكم. فالسلطة نجحت في تجحيش الشعب!. فشخصيات الرواية من مثقف وشاعر ومراسل من الفئة الشعبية كلها تتحول إلى حيوانات ممسوخة.

إنّ هذه التحول المسوخي لشخصيات الرواية جاءت نتيجة فقد الإنسان إرادته لأنه «حينما يفقد الإنسان إرادته تهون عليه عزته ويكون من السهل عليه من أجل البقاء أن يمسخ نفسه فهو لايشعر بتدرجات التحول والانحطاط» (نفس المصدر: ٦٩) تتغير الشخصيات وتتغير معها الأذواق ويصبح صوت الحمير أعذب الأصوات:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنّ أعذب الأصوات لصوت الحمير»

صدق الله العظيم

وطلبت من كل شخص منا أن ينهض خاشعاً ليردد الآية « الكريمة» بصوت عال» (نفس المصدر: ١٠٦) هذه السخرية السوداء جاءت نتيجة رفع الفوارق بين الإنسان والحيوان لتعطيل عقل الإنسان والسيطرة عليه بطرق مختلفة. لئلا يعرف غير الانصياع لأوامر الحاكم والرضوخ للوضع السيء وقبول المهانة.

وأمّا في رواية **"أقتفي أثري"** فيعود الانهزام الداخلي للشخصيات الروائية عند العقابي إلى ما أقدمت عليه السلطة الغاشمة كالحرب العراقية الإيرانية التي شكلت، كظاهرة سلطوية منعطفاً فاصلاً في كينونة الفرد والمجتمع العراقي؛ إذ أدت إلى تغيرات بنيوية عصفت بمنظومة القيم والعادات والتقاليد، فلم يعد العراقي نفسه الذي كان قبل الحرب، بل تحول إلى شخصية مهزومة فاتها العمر وعاشت المنفى بالوحدة وانتظار رسالة أو شخص ما يخبره عن أهله؛ وماحصل من أحداث سلطوية أخري، ليسترجع بذاكرته كوابيس الماضي وملاحقة رجال الأمن وسطوتهم التي عمّت البلاد وجعلتهُ متشرداً متسكعاً بين الواقع والخيال، يعاني من الصراع النفسي الذي يفتك بالشخصية ويقطعها إرباً إرباً: «ليس المكان وحده موحشاً بل للوقت وحشة تنخر الروح".

" قبل لحظات كنت أشعر بفرح وغبطة بعد أن صارت خلفي كوابيس الحرب وأيام التخفي والموت المتربص بي كل لحظةٍ" " فَلِمَ الحزن إذن؟ "(العقابي، ٢٠٠٩ م:٣٩)

إنّ الراوي يتكأ على تعابير صاخبة من وحي الروح المتأزمة المكبوتةً من سجن إلى سجن، فيأتي بهذه الثيمات، كالوحشة، كوابيس الحرب، الموت المتربص، فيسأل نفسه "لماذا الحزن إذن" أي إنّه من شدة الضغط النفسي لايوجد تعريفاً للحزن ولا يوجد مكانةً له في نفسه حتى يحزن تُعبر عن شدة أوجاع شخصيتها المهزومة التي وقعت ضحية بيد السلطات والحكومات.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

في رواية "أقتفي أثري" تقوم الشخصية الرئيسة بسرد الأحداث بضمير المتكلّم فيقع على عاتقها مهمّة تقديم الشخصيات، وسرد الأحداث، فيروي لنا حياته والأحداث المؤلمة التي شاهدها في العراق وفي ايران وسوريا والدنيمارك وحين عودته بعد سقوط التمثال. فهذه الشخصية باسم الكاتب الحقيقي «حميد بزون» تحمل خصائص الشخصية المهزومة كالإنكسار والشعور بالإذلال والمهانة وعدم الإكتراث وعدم الرغبة بملازمة الحياة. فيلازمه الكابوس (العقابي، ٢٠٠٩م: ١٧) وهو ضائع في الصحراء ينهش لحم روحه وغامت رؤيته (نفس المصدر:٢٤) هو ومن معه من الدليل الذي يريد أن يهرب به وصديقه الكردي صالح كلهم يعانون من القلق والخوف. وكل شيء أمامه مغلق ومجهول (نفس المصدر: ٣٠و٣١) والألم رغم خروجه من العراق ينخر روحه (نفس المصدر:٤٧) وكاد أن ينسى رجولته (نفس المصدر: ٤٩) وأحياناً «تخيلتني وقد تحولتُ إلى خروف مساقاً إلى المسلخ»(نفس المصدر: ٥٠) يتناجى مع نفسه «سر أيها الخروف إلى المسلخ طائعا لاتتمهل !لاتثغ! لاتحتج! وَلِمَ تحتج؟!» (نفس المصدر: ٥٥) ثم الغربة التي «لم تجد لها سلوى إلا بي فأدمنتني كما أدمنتها .... والطريق المجهول إلى أفق لايستقر: يا أبي أنا لست إسماعيل أنا محض خروف أعجف» (نفس المصدر:٦٩) وفي الغربة يصغي إلى الموت كل ليلة فأصبحت بلاجسد وبلا رغبة وبلا إرادة وحتي نسي من هو:

- « بأناك أدنُ»
- من أنا؟(نفس المصدر: ٨٩)

ورغم عودته إلى الوطن يعتبر بلده مقبرة جماعية (نفس المصدر: ١٨٠).كل هذه المقتطفات من رواية أقتفي أثري تدل على أنّ الراوي يعيش هزيمة نكراء وانكساراً فظيعاً. فمصير شخصيات الرواية المهزومة، نساءً ورجالاً، إلى الإنكسار، فـ«مارينا» كشخصية رئيسة من بين الشخصيات التي كان لها حضور واضح ومتميز، لعبت دوراً كبيراً في مجرى السرد، فكانت ضمن المجموعة التي قررت العودة إلى العراق عن طريق الصحراء، إلا أن الذئاب أحاطت بهم مادفع ماريانا للّجوء إلى حميد (شخصية السارد)، فظن السارد أنها مسيحية ولكنها أقسمت بأغلظ الأيمان بأنها كانت مسلمة وأنها غيرت اسمها في الوثائق الدنماركية (نفس المصدر: ٨٥) فهي تعتقد أنها ولدت منفياً في جسدها و«هل تعرف ماذا يكون الإنسان منفيا في جسده .. فقد وُلدت منفيا في جسدي و لم أرحل من وطن إلى منفي بل من ذكورة منفاي إلى أنوثة غربتي ..» (نفس المصدر: ١٥٦– ١٥٧) وفي هذا إشارة إلى عملية تغيير الجنس والتي أجريت عليها في الدنمارك، وحين تسقط المجموعة في أسر جنود أمريكان، تتفاقم الأزمة:« كنت أسمع ماريانا تتوسل وسط ضحك الجنود وكلماتهم البذيئة، تخليتها غزالاً جريحاً تدور حوله الضباع ناهشة أضلاعه الطرية .. فتذكرت العبارة التي كانت ماريانا ترددها أمس بحزن: جسدي مواطن مخطيئن ولاجيئن من التشرد للتشرد»(م.ن: ١٧٣) هذه هي صورة محزنة لشخصية مهزومة تماماً، جسدياً وروحياً.

ثم شخصية «علي كارثه» ونهايتها المفجعة التي سببت في ذهن السارد وابلاً من الأسئلة ويخاطبه قائلاً: نعم يا علي مأساتنا في أننا أدمنّا الهرب، كأننا في سباق لانهاية، وندرك منذ البدء بأن المضمار مراوغ وأننا خاسرون.... نلتقي في حانة الغرباء ونعب كؤوس السم وننتظر موتنا..... الخوف يتربص بنا ..ونفخر بالحزن، و كان موت علي كارثه بهذه الطريقة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

العابثة أثار أسئلة لاتقدر النفس على كتمانها..» (نفس المصدر: ١٢١- ١٢٣). وشخصية أمجد صافي الذي يعاني من الشذوذ الجنسي، وشخصية «أبو عبد الصمد» الذي نصَبَ نفسه قائداً مُدلقاً علينا بلغة الوعظ والإرشاد وأوامره التي تقبلناها بطاعةٍ تستيقظ فينا كلما توهمنا ضباباً قادماً إلينا، وقد كنّا بحاجةٍ إلى من ينصّب نفسه قائداً أو ممثلاً عنا كي نحافظ على خط سير القطيع، فالذئب يفترس النعجة المتخلفة"(نفس المصدر: ٧٥) ثم يبين الراوي بعض صفات هذا الشخصية وعلاقته مع الله: "كان أبو عبد الصمد يقضي نهاره في حركة دائبة كأنه يحسب الدقائق بغريزة تاجر لا يريد لدقيقة من حياته أن تهدر دونما كسب صفقة يعقدها مع الله. يتعامل مع الرب كمرابٍ، فهو لا يبولُ على يدِ مجروح إنْ لم يتأكد من أن هذا المجروح من المؤمنين العابدين المصلين على الطريقة التي آمن هو بها "(نفس المصدر: ٦٤) فأبو عبد الصمد، أو أبو علي الطنطل هو الذي يعرف أسماء الشهداء وشارك في معارك كثيرة شاكياً عن الخيانات والمساومات التي تمت بين قادة الأحزاب المتقاتلة.. لكنه نادراً ما يخوض في نقاش سياسي. مرات عديدة وجده الراوي منزوياً يبكي وحين سأله عن سبب بكائه يلقي اللوم على الغربة والسلطة الطاغية وأحزاب المعارضة المهترئة «فأري العثة تنزل من قمة رأسه حتى قدميه... و أتيقن من صدقه في تواضع أمنيته التي تدفعه لأن يتخلي عن كرامته و إنسانيته ليتحول إلى حصان هرم أو ثور ميت على تبن زريبة أو إصطبل (نفس المصدر: ٧٩)

فتكوّن الشخصية المهزومة البنيةَ الفاعليةَ في روايتي أقتفي أثري والفئران، وللسلطة الطاغية أثر بالغ الأهمية في تشكيلها السردي حيث تطغي الشخصية المهزمة في هاتين الروايتين.

٤. ٢. ٢ الشخصية السلطوية

الشخصيات المنتمية للسلطة هي شخصيات، رغم قلة عددها، تهيمن على الرواية وتعمل كأجهزة قمعية للسلطة الطاغية. تنساق هذه الشخصيات المنتمية للسلطة باعتبارها تعمل على الاستعانة بالنزعات السلطوية للمؤسسات السياسية، حيث إنّها تتأطر وتتشكل ضمن مآربها الاستغلالية في ظلّ تلك الأنظمة، من أجل أن تحقق مصالح ورغبات فردية جامحة، لكسب المزيد من المنافع الشخصية أي اغتنام الفرص المتاحة لها باعتبارها شخصية تدرك بأن الإنضواء تحت مقولات السلطة هو السبيل الوحيد لتكوين ثروة دون عناء ومجهود مضني يبذل.

فالرواية "هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث، وقد تكون الشخصية من الحيوان، فيستخدم عندئذٍ كرمز يكشف عما وراءه من شخصية إنسانية تهدف من وراءها العبرة والموعظة، كما في "كليلة ودمنة والقصص التعليمية الأخرى".(مريدن، ١٩٧٠م: ٢٧). فالشخصية السلطوية الرئيسة المهيمنة في رواية الفئران شخصية «السيد االرئيس» التي يرمز بها الراوي إلى السلطة الطاغية التي تحاول إخضاع الشعب. فالسيد الرئيس «منذ اعتلائه عرش الربوبية ..لم يبق من شيطان أو ملاك إلا وتجده ساجداً مُسبّحاً لمجد السيد الرئيس على الأرض»(العقابي، ٢٠١٣م: ٦) وبلفتته الكريمة أقيم للشهداء نصب تذكاري وتم توزيع أعضاء بلاستيكية مصنوعة في أفخر معامل الغرب للمعوقين.... و جعل تاريخ ميلاده عطلة رسمية ويوماً

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

للفرح ..(نفس المصدر: ٧-٨) فلهذه الشخصية الفذةَ ألقاب كثيرة ومن أكثرها تكراراً « القائد الملهم» الذي يفاجئ المواطنين بزيارات إلى بيوتهم ويعلمهم طريقة الأكل وبيده مقاليد الحكم المطلقة (نفس المصدر: ١٥) و«قائدا فذا» استطاع بفكره الثاقب وارادته القوية ونبوغه المتميز أن يقود أمتنا المتميزة.. و «قائدنا المفدي» (نفس المصدر: ٢٤) فالراوي يصف سطوة السيد الرئيس بأن السائر إلى منشقة الإعدام لايجرؤ على شتم القائدخوفا على أعشارالثانية المتبقية من حياته .... الشعر كله للقائد والغناء كله للحبيب القائد والقصص والروايات كلها بطلها واحد وهو السيد القائد ..المطر لايهطل إلا باذن القائد والزرع لاينبت إلا من أجل القائد والشمس لاتشرق إلا إنعكاساً من وجه القائد ...كل شيء من أجل القائد» (نفس المصدر: ٣٧). ثم كل الأفعال بإيعاز من القائد: القائد يقول قفوا!؛ وقفنا متسمرين؛ القائد يقول:تحركوا! تحركنا؛ القائد يقول: ابركوا ! بركنا؛ القائد يقول: انبحوا! ..القائد يقول انهقوا! القائد يقول ... نبحنا، نهقنا فعلنا ما قاله القائد دونما اعتراض» (نفس المصدر:١١٣) هكذا هي الشخصية السلطوية المهيمنة التي هو أصبح إلها في الأرض:

«قال أحدهم:«الله كريم» وكاد يكمل جملته حتى تعلثم وارتبك .. فراح يتمتم محاولاً تصحيح الخطأ:

أقصد لاتيأس من رحمة القائد.. فالسيد الرئيس كريم...»(نفس المصدر:١٣٢)

تشكلت الشخصيات المنتمية للسلطة في رواية الفئران، كلها من العسكريين وتجري أحداث الرواية في المعسكرات؛ لأنّ الرواية تعالج الظروف السياسة المضطربة بسبب الانقلابات العسكرية التي شاهدها تاريخ العراق الحديث وأدت إلى إبراز شخصيات تكونت لتكون خادمة وداعمة لمصالح السلطة وسياساتها. فهذه الشخصيات الروائية إما «رئيس عرفاء بملامح بدوية وعينين مطموسطين» أو «ضابط برتبة رائد أو عقيد لم أعد أتذكر وهو يهز هراوته جالدا الهواء» فيتبعه رئيس العرفاء ككلب مطيع (نفس المصدر: ١٠-١٢) أو مجموعة من رجال غلاظ بزي عسكري، أو جندي أو عريف أو جنرال ضخم الجثة بزي عسكري يلمع على كتفيه صفان من النجوم الذهبية وعلي صدره أوسمة ونياشين (نفس المصدر: ٢١-٢٣) حتى شخصيتا «ريم و غزالة»، المرأتان المنتميتان للسلطة، عسكريتان: «وقع نظري على الفتاتين اللتين تقفان جانب العرش فوجدتهما في وضع الاستعداد... في قميص خاكي (نفس المصدر: ٢٣) و «تقدمت إحدي الفتاتين باتجاهنا بعد أن أسندت رشاشتها إلى الجدار الأمامي ... و هي تحرك سلسالاً ذهبياً تدلت منه صورة السيد القائد..» (نفس المصدر: ٢٦) فريم شخصية عسكرية مسؤولة عن ترتيبة الأذواق، ومهمتها توزيع الأسماء الجديدة التي تتحكم الشخصيات المهزومة بمساعدة مساعدتها غزالة والشخصيات يتمّ نداءها بأسماء الحيوانات: جحش ..خفاش ..ثور .. زيب.. دب ..بعير ..(نفس المصدر: ٨٤) ففي هذا الجو العسكري الخانق يحسب طلب الموت رمياً بالرصاص جرأة: «حتي تجرأ أحدنا وطلب من السيد الجنرال متوسلاً بإصدار أمره بإطلاق الرصاص علينا» (نفس المصدر:١١). ووفقاً لدراسة رواية الفئران، فإنّ الراوي جاء بهذه الشخصيات وصبّها بين ملتويات البنية السردية لتصور دورها في تنظيم السلطة وفق معاييرها: «بينكم رجال أبدوا تفوقاً ما كنا نتوقعه من طاعة وخشوع وقد تم تكريمهم بتنصيبهم بأرفع المناصب في الدولة» (نفس المصدر:٨٨). لقد أفصح هذا النص بدلالة الفعل عن سمة شكّلت جانباً من شخوص أبدوا تفوقاً بسلوكهم وأفعالهم،

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

ليثبتوا طاعتهم وخشوعهم كما روى الراوي عبر خطاب العريف، وتكريماً لجهودهم وتسليمهم للإذلال والإنتماء القهري أو الإختياري، كما يجد البحث الثيمات مكتملة لهذه الشخصيات المنتمية مثل: الطاعة والخشوع و التسليم السريع وحصدهم التكريمات. وقد أبرع الراوي عبر هذه الخطابات أن يقوم بدلالة دقيقة لهذه الشخصيات في مجتمعه آنذاك: «وارتفعت نسبة الأمل خاصة بعد أن علمنا أو ظننا بأن الذين اختفوا من بيننا لم يعدموا كما كان الظن سائداً من قبل، بل إنهم الآن يتقلدون مناصب رفيعة في الدولة.» (نفس المصدر:٨٩). وقد استخدم الراوي هذا التعبير والتوضيح بعد الاختفاء السريع والمكرر لبعض الأشخاص بصورة مبهمة ظناً منهم أنهم لاقوا حتفهم، ولكن رغم الخيبة الموجودة التي تدلّ على التسليم أمام متطلبات السلطة والأوامر وتحمل المهانة والإذلال بما يكفي من الوقت، إنما صار لديهم بصيص أمل بأن من يرضخ ويطأطئ رأسه فقد نجا نجاة لا مثيل لها بتكريمه وتقلده بمناصب رفيعة. رغم أن الكاتب أراد السخرية من الأمر وتلفيقه مع مرارة الوضع؛ فراح يدخل كلمة أو لفظ أمل في وصفه، موضحاً للقارئ عكس مضمون الكلمة وهو أن لا أمل ولا حياة بعد سحق الكرامة والعزة مقابل المناصب والترفيعات وهذا ما استخدمه الكاتب عن طريق وصف الراوي (واوي) حيث أنه يرسم الموقف، خير رسم بقوله أن كل ما أنزلوا علينا الكثير والكثير من المصائب والأهوال والأوجاع النفسية على الخصوص، صار من السهل الرضوخ والاستسلام السلس للهروب والخروج من الزنزانات.

وفي الحقيقة يريد الكاتب تصوير حياته كما يقال: "إن الكاتب المحدث لا يهمل القارئ ولكنه يطالب بالضرورة المطلقة لأن يساهم القارئ مساهمة فعالة واعية بل خلاقة. إنّ ما يطلبه المؤلف من القارئ ليس استقبال عالم كامل ممتلئ مغلق على نفسه، بل على العكس إنه يسأله أن يساهم في عملية الخلق وأن يخترع بدوره العمل الذي يقرأ _العالم أيضاً_ وأن يتعلم بهذه الطريقة أن يخلق حياته هو. (روب جرييه، ١٩٨٠م: ١٣٨) والروائي يقول: « على الرغم من أن البرجوازية الصغيرة تفرز أنظمة دكتاتورية وبونابرتية بأجهزة مخابرات قمعية.. إلا أنه ينبغي علينا الإقرار بأن حرية البلد هي الأولى... وأن البلدان النامية أو ما يسمى زيفا ببلدان العالم الثالث في المنعطفات التاريخية تحتاج إلى أنظمة قوية وزعيم شجاع يقود شعبه نحو التحضر والتمدن وفي الوقت نفسه يهيئ الجيش لصد هجمات القوى الطامعة بخيرات البلد." (العقابي، ٢٠١٣م: ٩٣). لقد كشفت دلالة أفعال الشخصيات عن ما آلت إليه الشخصية (الفهد)، الفرد المثقف من المجتمع العراقي الذي كان يثرثر للسجناء حول الحريات والمقاومة أمام ظلم الظالم وعدم الرضوخ لخططه المشينة والوضيعة.

وأمّا في رواية أقتفي أثري فيشير الراوي إلى الشخصيات المنتمية للسطلة بـ«الذئاب» التي لم تكن دائرتها ضيقة « إلا أن مجرد الشعور بأننا محاصرون بدائرة من ذئاب كاف أن يجعل الهدوء ينفر من نفوسنا كيف لنا أن نثق بذئاب جُبلت على الافتراس و أن بدت ويعة و كيف لنا أن نضمن أنها لن تتغير بعد قليل وتعود إلى طبيعتها الذئبية» (العقابي، ٢٠٠٩م: ١٧) والشخصيات المهزومة تري كابوس الذئاب تطبق حصارها حولها (نفس المصدر:١٨) وحينما تلوح أول خيط أبيض في السماء تنهض الذئاب بتثاقل. فالنص التالي يصف للقارئ ذهاب الذئاب في صورة سردية رمزية: «مع نزول عصا المايسترو غير المرئية توقفت الذئاب، ودارت لنا ظهورها وتجمعت بكردوس منتظم ثم انطلقت مخلّفة وراءها غبارا كثيفا وأسئلة لائبة في

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

نفوسنا. انشدت أبصارنا إلى جهة الغرب حيث اتجهت الذئاب حتى بدت نقاطاً سوداً على الجدار، نقاطاً ستبقي بالتأكيد على لوحة الذاكرة إلى أمد بعيد وربما إلى أفق النهاية» (نفس المصدر: ٢٢) فهذه الصورة السردية رمز للسطة الغاشمة التي سقطت ووولي عهدها وبسقوطها؛ وبالتالي حاولت مجموعة من الشخصيات المهزومة العودة إلى وطنهم.

النتائج

توصّل البحث إلى نتائج عدة أهمّها:

– أنّ الصورة السردية لخطاب السلطة الشاملة في روايتي أقتفي أثري والفئران تدل على واقع السلطة التي تتميز بالهمينة العسكرية وأثرها على بنية المجتمع العراقي. فالخوف المسيطر من السلطة ترسخ في القلوب وأجبر المواطن على الصمت المرير خوفاً من عقاب السطلة، أو التشرد في الغربة، والشعور بالضياع النفسي والموت كنتيجة محتومة للسلطة دون بصيص أمل.

– أنّ البنية الفاعلية في روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران" متأثرة في تشكيلها السردي بخطاب السلطة. فالشخصيات الروائية في الروايتين، إما شخصيات مهزومة تعاني أزمات مختلفة بسبب استبداد السلطة وفاعلية أجهزتها القمعية؛ وإما شخصيات سلطوية تعمل كأهم أداة مؤثرة في إكمال المشاريع القمعية للسلطة، فتأخذ هذه الشخصيات موقعاً مستعلياً لممارسة العنف بأنواعها الجسدي لسحق الشخصيات المهزومة. وللسلطة الطاغية أثر بالغ الأهمية في تشكيلهما السردي، وتطغي الشخصية المهزومة في هاتين الروايتين. يتبين من خلال الرسم البياني التالي نسبة الشخصيات المنهزمة والسلطوية في كل من روايتي "أقتفي أثري" و"الفئران".

الرسم البياني: نسبة الشخصيات المنهزمة والسلطوية في كل من الرواتين: أقتفي أثري والفئران:

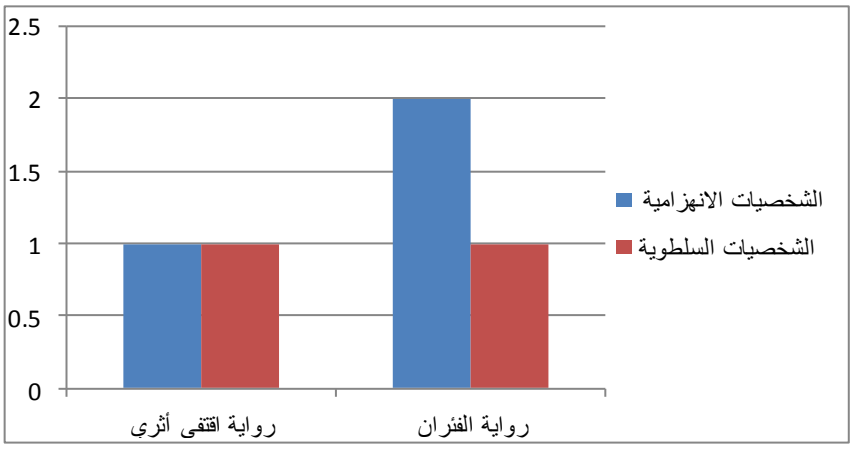

– أنّ التشكيل السردي للشخصية المهزومة في رواية الفئران يدل على طمس هوية الشخصيات بإرادة من السلطة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

الغاشمة أولاً وتحويلها فيما بعد إلى شخصيات ممسوخة مطيعة ثانياً. فتتحول هذه الشخصيات من مثقف وشاعر ومراسل من الفئة الشعبية إلى حيوانات ممسوخة بمسمياتها: الحمار، والدب، والجحش... نتيجة فقد الشخصيات المهزومة إرادتها في تقرير مصيرها.

– أنّ الشخصيات المنتمية للسلطة، رغم قلة عددها، تهمين على الروايتين، خاصة في رواية الفئران وتعمل بوصفها أجهزة قمعية، على استعانة النزعات السلطوية للمؤسسات السياسية، لتحقق رغباتها الفردية الجامحة، فتنغنم الفرص المتاحة لها باعتبارها شخصية تدرك بأن الإنضواء تحت مقولات السلطة هو السبيل الوحيد لتكوين ثروة دون عناء ومجهود مضني يبذل.

– فالشخصية السلطوية الرئيسة المهيمنة في رواية الفئران شخصية «السيد الرئيس» التي يرمز بها الراوي إلى السلطة الطاغية التي تحاول إخضاع الشعب، فيتدخل في كل شؤون الشعب من طعامهم ومبلسهم ومشربهم. والكل يسجد للسيد الرئيس ويسبحه، فلاتقع واقعة إلا باذنه أو بإيعاز منه ولأجله. فتحولت شخصية القائد إلى شخصية تحظي بمقام الألوهية.

– تشكلت الشخصيات المنتمية للسلطة في رواية الفئران، كلها من العسكريين تقع حوادث الرواية في الأمكنة العسكرية، لأن الرواية تعالج ظروف السياسة المضطربة بسبب الانقلابات العسكرية التي شاهدها تاريخ العراق الحديث وأدت إلى إبراز شخصيات تكونت لتكون خادمة وداعمة لمصالح السلطة وسياساتها. فهذه الشخصيات الروائية إما جندي، أو عريف، أو رئيس العرفاء، أو ضابط برتبة رائد أو عقيد، أو مجموعة من رجال غلاظ بزيّ عسكري، أو جنرال ضخم الجثة بزي عسكري.

المصادر

- ابراهيم، سلام (٢٠١٩). *أصغي الى رمادي؛ الذات حينما تدمرها الطفولة والحرب*، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٤٣–٥٠.
- اسكاف، حسين (٢٠٠٨م). *حميد العقابي حين يؤرخ لجيل الخيبات والحروب*، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٦٨–٧٢.
- اميريان، طيبة؛ اميري، جهانگير (١٤٤٤هـ). *المستويات المؤثّرة لألف ليلة وليلة في "سُلاف بغداد" لمحسن جاسم الموسوي*. مجلة دراسات في السردانية العربية، المجلد٢، العدد٣، صص ١–٣٠.
- باختين، ميخائيل (١٩٨٦م). *قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي*، ترجمة جميل التكريتي، الطبعة الاولى. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ـــــــــ (١٩٨٧م). *الخطاب الروائي*، ترجمة: محمد برادة، الطبعة الاولى. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع .

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.93]

- بغورة، الزواوي (٢٠٠٥م). *الفلسفة واللغة، نقد «المنعطف اللغوي» في الفلسفة المعاصرة*، الطبعة الأولي، بيروت، دارالطليعة.
- جندري، ابراهيم (٢٠١٢م). *الرواية والتناص*، العراق، مركز العميد للبحوث والدراسات، مجلد ١، عدد١-٢.
- الرزوق، صالح (٢٠١٩م). *الواقع والخيال في رواية (القلادة)*، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٥٠-٦٧.
- روب جرييه، آلان (١٩٨٠م). *نحو رواية جديدة*، ترجمة، مصطفى ابراهيم مصطفى، الطبعة الاولى، مصر، دار المعارف.
- سفر، بسام (٢٠٢٢م). *نماذج من الشخصيات المهزومة في الدراما السورية*، موقع الحل نت:
- https://7al.net/2022/10/11/bassam-s/culture/ نماذج-من-الشخصيات-المهزومة-في-الدرام
- السعران، محمود (١٩٦٣م). *اللغة والمجتمع*، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف.
- الطعان، صبحي (١٩٩٤م). *بنية النص الكبرى*، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد١-٢، صص ٤٣١-٤٥٤.
- عبد اللطيف، مازن (٢٠١٩م). *وشم النورس حياة مستعادة لحميد العقابي*، قراءات - شهادات - مواقف - مجموعة شعرية جديدة، بغداد، دار قناديل.
- عبيد، محمد صابر (٢٠١١م). *التشكيل السردي المصطلح و الإجراء*، دمشق، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع.
- العقابي، حميد (٢٠٠٩م). *أقتفي أثري*، لندن، طوى للثقافة والنشر والاعلام.
- ـــــــ (٢٠١٣م)، *الغفران*، بغداد، بيروت، منشوات الجمل.
- العيد، يمنى (١٩٨٦م). *الموقع والشكل دراسة في السرد الروائي*، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- فواز، نجاة (٢٠١٢م). *الضلع؛ رواية تصير مسافة بين الوطن والمنفى*، موقع المفتاح 07-29-2012 https://almooftah.com/vb/showthread.php?t=26451
- فوكو، مشيل (٢٠٠٧م). *جنيالوجيا المعرفة*، ترجمة أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، الطبعة الثانية، دارالبيضاء، دار توبقال للنشر.
- كاظم، أسماء محمد؛ عباس، درويش خضير (٢٠٢٠م). "جمالية العتبات في روايات حميد العقابي"، جامعة بغداد، مجلة الآداب، ، عدد ١٣٤، صص ٣٧-٥٨
- كاظم، سالم جمعة (٢٠١٨م) *مستويات الأداء اللغوي في رواية الضلع لحميد العقابي*، العراق، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية (٣٢)١، صص ٣٨٤-٣٣٥.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7]

- الكندي، علي (٢٠٢٠م). *سلطة النص و فضاء الخطاب*، 31/05/2020
https://www.alfalq.com/?p=12070
- مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨م). *في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد*، الكويت، المجلس الاعلي للثقافة الفنون.
- مريدن، عزيزة (١٩٨٠م). *القصّة والرواية*، بيروت، دار الفكر المعاصر، .
- مطر، هشام (٢٠١٩م). *القلادة حداثة النص بين الإسقاط والتناص والتأويل*، من مجموعة وشم النوارس، بغداد، دار القناديل، صص ٧٣-١٢٥.
- ناصر، كريم (٢٠٠٨م) *الضلع- رواية التأويل وأصل المتغيرات والمتضادات*، موقع إيلاف
https://elaph.com/Web/Culture/2008/3/316457.htm
- نوماس محمد المدني كريمة (١٤٤٢هـ). *دراسة أسلوبية لعناصر السرد والعنف في الرواية العراقية المعاصرة*؛ رواية خان الشابندر لمحمد حياوي اختيارا. دراسات في السردانية العربية جامعة الخوارزمي الإيرانية. ١٤٤٢; ١ (٢):٣٠١-٣١٨.

References:

- Ibrahim, Salam (2019), " Asghi ela ramadi ".the self when it is destroyed by childhood and war, from the collection of Washem Alnawaris, Baghdad, Dar Al Qandil, pp. 43-50
- Askaf, Hussain, (2008) Hamid Al-Aqabi, when he comforts the generation of disappointments and wars, from the collection of Washem Alnawaris, Baghdad, Dar Al-Qandil, pp. 68-72.
- Amirian,T.Amiri,J(2022) The Influential Levels of "The Thousand and one Nights" in "Soulaf Baghdad" Jassim al-Mousawi. San 2022,3(2) 1-30
- Bakhtin, Mikhail, (1986), Creative Art Issues at Dostoevsky, translated by Jamil Al-Tikriti, Baghdad, General Cultural Affairs House, first edition.
- Bakhtin Mikhail, (1987) Fictional Discourse, Translated by: Mohamed Barrada, Cairo, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, first edition.
- Bghoura Al-Zawawi (2005), Philosophy and Language, Criticizing the "Linguistic Turn" in Contemporary Philosophy, Beirut, Dar Al-Tali'ah, First Edition.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

- Jandari, Ibrahim (2012) The Novel and Intertextuality, Iraq, Al-Ameed Center for Research and Studies, Volume 1, Numbers 1-2.
- Al-Razuq, Salih (2019) Reality and Fiction in the Novel (The Necklace) from the collection of Washam Alnawaris, Baghdad, Dar Al-Qandil, pp. 50-67.
- Rob Jerbih, Alan (1980) Towards a New Novel, translation, Mustafa Ibrahim Mustafa, Egypt, Dar Al-Maari, first edition.
- Bassam's Travel (2022), models of defeated characters in the Syrian drama, Al-Hal Net website:
- https://7al.net/2022/10/11/نماذج-من-الشخصيات-المهزومة-في-الدراما /bassam-s/culture/
- Al-Saran Mahmoud (1963) Language and Society, Egypt, Dar Al-Maarif, second edition. -Al-Ta'an Subhi (1994) The Great Structure of the Text, Kuwait, Alam Al-Fikr Magazine, Issue 1-2, pp. 431-454
- Abdul Latif Mazen (2019) Washam Alnawaris, A Restored Life by Hamid Al-Aqabi, Readings - Testimonies - Positions - A New Poetry Collection Baghdad, Dar Qandil, first edition.
- Obaid Muhammad Saber (2011) Narrative Formation, Term And Procedure, Damascus, Dar Nianawa, first edition.
- Al-Aqabi, Hamid (2009), "Aqtafi 'athari", London, Tawa for Culture, Publishing and Media, first edition.
- Al-Aqabi, Hamid, (2013) "Alfiran", Baghdad, Beirut, Manshawt Al-Jamal, first edition
- Eid, Yemeni (1986), location and form, a study in the narrative narrative, Beirut, Arab Research Foundation, first edition.
- Fawaz, Najat (2012) Al-Dhalea "A Novel Becomes a Distance Between Homeland and Exile", Al-Muftah Website

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

- https://almooftah.com/vb/showthread.php?t=26451
- Foucault, Michel (2007) The Genealogy of Knowledge, translated by Ahmed El Satati and Abdel Salam Ben Abdel Ali, Dar Al Baida, Dar Toubkal Publishing, second edition.
- Kazem, Asma Muhammad; Abbas, Darwish Khudair (2020) "The Aesthetic of Thresholds in the Novels of Hamid Al-Aqabi", University of Baghdad Journal of Arts No. 134, pp. 37-58.
- Kazem, Salem Juma (2018) "Levels of Linguistic Performance in Hamid Al-Aqabi's Novel Al-Dhale'a", Iraq, Lark for Philosophy, Linguistics and Social Sciences (32)1, pp. 384-335.
- Al-Kindi, Ali (2020) The authority of the text and the space of discourse, 05/31/2020
- https://www.alfalq.com/?p=12070
- Murtada, Abdul Malik (1998) In the theory of the novel: research in narration techniques, Kuwait, Supreme Council for Arts and Culture, first edition.
- Mariden, Aziza (1980), The Story and the Novel, Beirut, Dar Al-Fikr Al-Moasr, first edition.
- Matar, Hisham (2019) The necklace is the modernity of the text between projection, intertextuality and interpretation, from the group Washam Alnawaris, Baghdad, Dar Al Qandil, pp. 125-73.
- Nasser, Karim (2008), Al-Dalaa - The Novel of Interpretation and the Origin of Variables and Antonyms, Elap
- Nomas Muhammad Al- Madani K(2020) Narrative Stylistics in contemporary Iraqi Novels: The Case of Khan Al-Shabandar,san2020,1(2): 301-318

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]

[DOI: 10.61186/san.4.7.1]

فصلنامه مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

تأثیر گفتمان اقتدار بر شکل‌گیری ساختار کنشگری در دو رمان "به دنبال خودم می روم" و "موش ها" از حمید عقابی

علاء فلیح حسن زهیری[۱]، فرامرز میرزائی[۲]*، هادی نظری منظم[۳]، کبری روشن فکر[۴]

چکیده

گفتمان مجموعه گفتاری است که انواع رفتار را شکل می‌دهد و بر زندگی اجتماعی، به‌گونه مثبت یا منفی، تأثیر می‌گذارد. بنابراین گفتمان اقتدار وقدرت بر همه ابعاد سیاسی، فرهنگی، اقتصادی و روحی نفوذ می‌کند؛ در نتیجه نمی‌توان داستان را، که بازنمائی واقعیت های جامعه است، بدون گفتمان اقتدار تحلیل کرد. گفتمان اقتدار در داستان های حمید عقابی، داستان نویس عراقی، به ویژه در شکل گیری زیرساخت کنشگری (شخصیت) حضور پررنگی دارد. شخصت‌های داستانی متأثر از این گفتمان مسلط شکل گرفته‌اند. این پژوهش می‌کوشد با شیوه توصیفی -تحلیلی و با کمک ساختارگرایی زایشی، به عنوان شیوه تحلیل روایتی، مهمترین ویژگی‌های اقتدار و چگونگی تاثیر پذیری شخصیت‌های گوناگون داستانی را از گفتمان اقتدار در رمان های حمید عقابی، نشان دهد. جامعه آماری این پژوهش دو داستان: به دنبال خودم می روم(أقتفی أثری) و موشها(الفئران) است، زیرا این دوداستان به بازنمائی گفتمان قدرت و پیامدهای آن پرداخته‌اند. با جمع آوری دادها و تفسیر وتحلیل کیفی آنها، این مقاله به این نتیجه رسید که گفتمان قدرت در این دو اثر داستانی، با نفوذ در همه لایه های زندگی، رفتار وسرشت شخصیت های داستانی را به دو شکل شخصیت های سرخورده و شخصیت‌های وابسته به قدرت، شکل داده است. شخصیت‌های سرخورده در داستان حضور و کنش بیشتری دارد و شخصیت های وابسته به قدرت، علی رغم کمی تعدادشان، عامل أساسی ظهور و چیرگی گفتمان قدرت هستند . هر دو گونه شخصیت سرخورده و وابسته تحت تأثیر منفی گفتمان قدرت از بحران‌های هویت، دوگانگی و فشار روانی شدیدی رنج می برند.

واژگان کلیدی: گفتمان اقتدار؛ شخصیت داستانی، حمید عقابی، أقتفی اثری، الفئران

تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۳/۲۹ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۵/۳۰

[۱] دانشجوی دکتری زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: af.hasan@modares.ac.ir
[۲] نویسنده مسؤول، استاد گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه:f_mirzaei@modares.ac.ir
[۳] دانشیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامهhadi.nazari@modares.ac.ir
[۴] استاد گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، رایانامه: kroshan@modares.ac.ir

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
حق مولف© نویسندگان

تابستان ۱۴۰۲، دوره۴، شماره ۹، صص. ۷۹-۱۰۴
دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-30]
[DOI: 10.61186/san.4.79]